«تصور مقترح للإدماج الثقافي بين الأطفال العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة في كتابة قصص الأطفال: رؤية مستقبلية»

د. علي عاشور الجعفر
قسم المناهج وطرق التدريس
كلية التربية – جامعة الكويت

الملخص

هناك تباين في آراء الباحثين لمدى فاعلية إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين، لا سيما في الفصول الدراسية. وقد أثارت هذه الملاحظة الباحث، وجعلته ينظر إلى مفهوم الإدماج من زاوية أخرى قلما التفت إليها الباحثون في مجال دراسات التربية الخاصة، وهي نظرة أدب الأطفال العربي المعاصر لذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام، ومدى إسهامه في تحقيق مفهوم الإدماج الثقافي بين الأطفال العاديين وغيرهم بشكل خاص.

وتقترح الدراسة الحالية شكلاً كتابياً بحيث يكون تمثيلاً لمفهوم الإدماج الثقافي؛ ذلك الإدماج الذي يجمع الطفل العادي مع أطفال من ذوي الحاجات الخاصة ممن يعتمدون على الإشارة أو الرموز أو المكفوفين على صفحة واحدة، بحيث يقرأ كل ذي لغة لغته الخاصةو ليتحقق بينهم الإدماج الثقافي.

وتعتمد هذه الدراسة على أسلوب البحث المطور لحل المشكلات Research & Development**، وهو نمط بحثي ذو طبيعة خاصة يقوم الباحث فيه بتعيين الهدف، ومتابعة خطوات البحث لتسجيل ما يعترض مساره من عقبات أو مشكلات، وما ينشأ خلال هذا المسار من اقتراحات أو حلول لتجاوزها، بحيث يتم ذلك في سيرورة متزامنة تفضي في نهاية المطاف إلى تحقيق الأهداف المرسومة للبحث. ومن الطبيعي في مثل هذا النمط البحثي أن تتضافر المشكلات والبيانات والكشف عن العقبات وتحليل النتائج في منظومة متزامنة تخالف بطبيعتها ما عليه العمل في الأنماط الأخرى من البحوث.**

مقدمة

في كتابهم العمدة «أدب الأطفال للمرحلة الابتدائية» يقدم المؤلفون تصورهم لما يرونه من أهمية بالغة لمفهوم التعددية الثقافية في أدب الأطفال، سواء كانت تعددية على المستوى المجتمعي أو المستوى العالمي. ويلتمس المؤلفون هذه الأهمية فيما يتصف به واقع المجتمع الأمريكي من تعددية ثقافية ظاهرة، وفي الحاجة الملحة إلى الكشف عن مظاهر هذه التعددية وأبعادها وإلى إرساء أسس المعايشة المنتجة بين أطيافها المختلفة بعد أن عجز التجاور المكاني عن صهرها وإزالة الحواجز والسدود العائقة بينها والإفادة منها لإثراء التجربة الأمريكية؛ تدعيماً للوحدة في إطار التنوع الخلاق. ولقد دأبت حكومة الولايات المتحدة على تقديم الدعم لهذا الاتجاه بين الناشرين في الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم. ومع ذلك ظل التأليف المعبر عن هذه التعددية يعاني من ندرة ظاهرة. ولعل من شواهد هذه الندرة أن جائزة كوريتا سكوت كينج Coretta Scott King Award قد فتحت باب الترشيح أمام جميع المؤلفين الأمريكيين من ذوي الأصل الأفريقي، ومع ذلك لم يتجاوز عدد المؤلفات التي قدمت للجائزة ثمانية وثلاثين عملاً من بين أربعة آلاف كتاب منشورة في عام ١٩٨٩ (Guck, Hepler, & Hickman, 1993).

غير أن الأمر اختلف في التسعينيات من القرن الماضي، ولاقى أدب الثقافات المتنوعة طريقه للقارئ المتنوع في الولايات المتحدة، وازداد الاهتمام بالحكايات الشعبية العالمية وأدب الأطفال العالمي بعد الحرب العالمية الثانية بالنظر إلى حاجة هذه الدول أن يعرف بعضها بعضاً، ولشروع الحكومات في انتهاج سياسة جديدة للتعايش السلمي، وكان المدخل لهذا التعايش هو أدب الأطفال. وفي هذا السياق أخرجت دور النشر مجموعات من أدب الأطفال ذات أهمية بالغة ضمنها هوك وزملاؤه كتابهم الذي أسلفنا الإشارة إليه.

والذي لا شك فيه أن مفهوم التعددية الثقافية قد أحرز بفضل هذه الظروف والمتغيرات تقدماً ملحوظاً، على حين ظل الأدب المعبر عن ذوي الاحتياجات الخاصة محروماً من العناية التي يستحقها، وربما كان ذلك نتيجة لا مفر منها لمبدأ ترتيب الأولويات الوطنية والقومية في الدول الغربية عامة والولايات المتحدة خاصة. لقد كان على صانع القرار ومنفذي السياسات العليا

وأصحاب دور النشر في الولايات المتحدة – على سبيل المثال – أن يصرفوا جل اهتمامهم إلى مواجهة الظروف السياسية الصعبة التي تتطلب حلولاً عاجلة؛ ومن ذلك منح الأقليات الحد الأدنى من حقوقهم المدنية، وتحقيق التعايش المشترك بين أهل الوطن الواحد. وكان دعم المشروعات المحققة لهذه الأهداف العليا على حساب الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة في بادئ الأمر. وحين تنبه المسؤولون إلى هذه الطائفة المهمة والمحرومة، كانت البداية الطبيعية هي العمل على تشريع القوانين التي تمهد لإدماجهم في المجتمع، وكان المجال التعليمي بطبيعة الحال على رأس هذه الأولويات وهو ما سنأتي به بشيء من التفصيل في تضاعيف البحث.

رؤية تاريخية لمصطلح الإدماج

ثمة قلق ظاهر في استخدام المصطلح الذي يعبر عن الإدماج فيما يكتب عن ذوي الاحتياجات الخاصة؛ إذ يتنازع هذه الكتابة عدد من المصطلحات منها: Normalization و Mainstreaming و Integration وInclusion؛ فمصطلح Mainstreaming كما يراه الخطيب والحديدي (١٩٩٧) يشير إلى «تعليم الأطفال المعوقين في بيئة قريبة من البيئة التربوية العادية، أو في البيئة التربوية العادية نفسها»(٢٩). وهذا المفهوم يترجمه عبدالله (١٩٩٨) إلى توحيد المسار ليشير إلى «تعليم الأطفال الذين يعانون من قصور أو إعاقات ضمن برامج صممت أساساً للأطفال العاديين»(٨٣).

أما مصطلح Normalization فيترجمه الخطيب والحديدي (١٩٩٧) بتطبيع حياة المعوقين الذي يرمي إلى «تزويد الفئات الخاصة بالظروف والفرص والبرامج التي تشبه إلى أكبر حد ممكن تلك المتوافرة للجميع في المجتمع، والتوقف عن معاملتهم بطرق مختلفة»(٢٩). هذا المصطلح الذي قدمه بانك ميكلسون من الدانمارك وصاغه ينج نرجي من السويد ليعني ما سبق (عبدالله، ١٩٩٨)، هو الذي مهد لاستخدام مصطلح Integration في الكتابات التربوية الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك إشارة إلى أي نوع من أنواع التفاعل بين الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة مع غيرهم من الأطفال العاديين. وهو مصطلح يؤكد عليه عبدالله (١٩٩٨) باعتباره المفهوم الأشمل لمعاني الإدماج.

أما مصطلح Inclusion الذي يترجمه عبدالله (١٩٩٨) بالتضمين أو الدمج المتكامل فيرى فيه مفهوماً معدلاً لمصطلح البيئة الأقل قيداً LRE Least Restrictive Envrionment، فالتضمين أو الدمج المتكامل – كما يرى عبدالله – يمكن النظر إليه بوصفه هدفاً نهائياً لعملية توحيد المسار Mainstreaming أو الدمج Integration لأنه «عندما يتحقق الدمج المتكامل أو التضمين فليس هناك ضرورة لعملية توحيد المسار؛ إذ يفترض أنه لا يوجد طفل، ضمن نظام التضمين، معزول عن المسار التعليمي العادي حتى يتم دمجه أو ضمه إليه» (عبدالله، ١٩٩٨: ٨٥).

ففلسفة الإدماج على الرغم من أنها ذات نزعة إنسانية أخلاقية تنطوي على إشكالية كبرى، حينما نقاربها من الوجهة العملية، لا سيما إذا قصد به إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة مع أقرانهم في الفصول التعليمية الواحدة (انظر آراء المؤيدين والرافضين لسياسة الإدماج في الخطيب والحديدي، ١٩٩٧؛ زيتون، ٢٠٠٣؛ عبدالله، ٢٠٠٢، وذلك على سبيل المثال لا الحصر). وينطلق المؤيدون لفلسفة الإدماج وتوحيد المسار التعليمي من النظرة الأخلاقية التي ترى في عملية الإدماج تقليلا من الآثار المدمرة التي يتعرض لها طفل ذوي الاحتياجات الخاصة عند عزله. بل إن أصحاب هذه النظرة المؤيدة يرون في الإدماج فرصة ذهبية تتيح لذوي الاحتياجات الخاصة التفاعل مع أقرانهم العاديين والتعلم منهم. وبمثل هذا الاندماج مع الآخر يتحقق تأهيل ذوي الاحتياجات للتعامل والعمل مع الآخر المختلف؛ ليكون ذلك الآخر صورة يتمثل فيها المجتمع الكبير (الخطيب والحديدي، ١٩٩٧؛ عبدالله، ٢٠٠٢). وقد لاحظ الباحث جدوى ذلك من إدخال عنصرين جديدين إلى تلفزيون الأطفال الذي ينتجه تلفزيون الكويت: أحدهما من أطفال متلازمة الداون، والآخر فتاة تستخدم الإشارة كقناة للاتصال والتواصل مع الآخرين. لقد أعطى القائمون على البرنامج هذين الطفلين فرصتهما في الاندماج مع أطفال من أعمارهم لتقديم برنامج على الهواء مباشرة، بعد أن دُرِّبَ فريق العمل بحيث يحيط بخصائص كل طفل، وتعلم البعض لغة الإشارة، وأصبحت الطفلة تقدم وصلتها الخاصة في المحور الخاص بالبرنامج باستخدام الإشارة، وخصصت فقرة دائمة لها بالمشاركة مع محاورتها الأخرى.

أما طفل متلازمة الداون فهو يحكي بعض الجمل البسيطة عن مشاركاته الخاصة مع والده أو أصدقائه فيما يخص محور البرنامج. وعلى سبيل التمثيل، كان محور يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/٤/١٢ خاصاً بالنجار ومهنته وما يتصل بهذه المهنة وموادها وغير ذلك. وتحدث الطفل «مشعل» عن تجربته في مساعدته والده لبناء الشاليه الخاص بالعائلة، وذلك على الهواء مباشرة، وبلغة مبسطة مفهومة ومحببة. لم يكن باستطاعة «مشعل» القيام بذلك لولا تشجيع فريق العمل من جهة وأسرته من جهة أخرى، وحبه هو لتحقيق ذاته من جهة ثالثة، وإتاحة الفرصة له من جهة أخيرة.

مثل هذه التجربة الخاصة بطفل متلازمة الداون وفتاة الإشارة تؤكد ما ذهبت إليه الدراسات المؤيدة فلسفة الإدماج؛ إذ تؤكد أن مثل هذا الإدماج يساعد الطفل من ذوي الاحتياجات الخاصة على تنمية الجانب الأكاديمي والاجتماعي في الأطفال، ويخلق الوعي لدى أفراد المجتمع لفهم الاختلافات والفروق الفردية بين الناس وتقديرها (الخطيب والحديدي، ١٩٩٧؛ عبدالله، ٢٠٠٢). وهذا بالفعل ما أكدته ردود الفعل في برنامج تلفزيون الأطفال، وما تحقق ذلك إلا بالدور الرائد الذي قام به والد الطفل «مشعل» بالتعاون مع صحيفة الطليعة الأسبوعية؛ إذ خصصت الصحيفة لمتلازمة الداون وذوي الاحتياجات الخاصة صفحة كاملة كل أسبوع، وما قامت به الأسر من تشجيع لأطفالها على الخروج من أَسر الخجل الاجتماعي إلى فضاء أكثر إنسانية بإتاحة فرصة الاندماج في الحياة الاجتماعية.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في معالجة الإدماج الثقافي لذوي الاحتياجات الخاصة على مسارين: يعنى أولهما بتحديد الابعاد النظرية للمشكلة وتتبع تاريخها في المجال التربوي، على حين يقدم الثاني نصاً تطبيقياً يقترح فيه الباحث تصوراً لتلافي مظاهر القصور الذي تكابده المكتبة الموجهة إلى هذه الفئة الجديرة بأن تكون موضع الاهتمام والرعاية حتى يمكن الإسهام في تلبية حاجاتها الثقافية والمعرفية والإنسانية.

مشكلة الدراسة

يتضح من المقدمة تباين آراء الباحثين في مدى فاعلية إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين، لا سيما في الفصول الدراسية. هذا التباين نجده في الدول التي تعتبر رائدة في سن القوانين ووضع الأسس الخاصة بذوي الاحتياجات. ومع ذلك لم تسلم هذه الدول من الدراسات التي رأت في الإدماج خطورة على نفسية الطلبة وتحصيلهم الدراسي من الأطفال العاديين أو من غيرهم. وهي خطورة على نفسية الطلبة وتحصيلهم الدراسي من الأطفال العاديين أو من غيرهم. وهي خطورة نجدها بشكل أكبر في البلاد العربية التي لم تعد المتخصصين لهذه الغاية كما أكدت عليها دراسات عبدالله (٢٠٠٢) والرشيدي والمعيلي (٢٠٠٣) وعبدالغفور (١٩٩٩). وقد أثارت هذه الملاحظة الباحث، وجعلته ينظر إلى مفهوم الإدماج من زاوية أخرى قلما التفت إليها الباحثون في مجال دراسات التربية الخاصة، وهي نظرة أدب الأطفال العربي المعاصر لذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام، ومدى إسهامه في تحقيق مفهوم الإدماج بين الأطفال العاديين وغيرهم بشكل خاص. ولذلك سيوضح الباحث دور الأدب في ثقافة الطفل باستخدام القصص المكتوبة لهم لتحقيق الغاية المبتغاة من إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة الاجتماعية والثقافية مع الأطفال العاديين.

أسئلة البحث

وتثير مشكلة الدراسة السؤالين التاليين:

١ – كيف نحقق الشكل الكتابي الخاص الذي يجمع بين الأطفال العاديين وغيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة؟

٢ – ما الخطوات الإجرائية التي ينبغي تتبعها لتحقيق دمج الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين؟

أدب الأطفال وإدماج ذوي الاحتياجات الخاصة

لا يعرف تحديداً البدايات الإبداعية في أدب الأطفال، تلك التي جعلت من ذوي الاحتياجات الخاصة موضوعاً لها، إلا أن من المؤكد إمكان رصد هذه البدايات في التسعينيات من القرن الماضي، وما لبث أن نال من الاهتمام قسطاً أوفر لدى دور النشر في القرن الحالي. ويعد نايف المطوع (Al-Mutawa, 1996) بقصته الفائزة بجائزة اليونسكو To Bounce or not to Bounce من البدايات الأولى في هذا المجال وسيأتي تفصيل القول فيها لاحقاً. أما دار الحدائق في لبنان فهي – حسب علم الباحث – من أوائل دور النشر التي خصَّت ذوي الاحتياجات الخاصة بسلسلة من غير أن تسم هذه السلسلة بعلامة خاصة. وربما كان السبب – فيما يرى الباحث – هو في رؤية أصحاب الدار من أن تجاهل وسمها بسمة خاصة هو وسيلة لتحقيق الغاية المرادة من الإدماج، ويأتي تفصيل القول في نماذج من هذا الأدب.

أثر أدب الأطفال في عملية إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة

أ – الحياة الاجتماعية العامة: في قصتهما المشتركة، أعادت لوشيان ماس ونجاة صبح الزق (١٩٩٧) صياغة القصة العالمية «سندريلا»، وقاما بإعدادها إعداداً جديداً يناسب القضية المرادة. إن سندريلا فتاة طيبة وجميلة لكنها ابتليت بزوجة أب قاسية لم تراع الظرف الإنساني (اليتم) والجسدي (الشلل). بل إن هذه الفتاة قد اجتمع عليها بالإضافة إلى هذين الظرفين عامل آخر من عوامل القهر هو حجبها عن الاختلاط الاجتماعي؛ ازدراء لها ومعرة منها كلما جاءهم زائر. وعلى الرغم من تلك القسوة من زوجة الأب وبناتها كانت سندريلا مطيعة لما تكلف به من أوامر، قائمة بذلك على أحسن وجه. في أثناء العمل، تغني سندريلا فيسري صوتها المحزون، لعلها تعطف إليها قلباً لهفاناً. وهكذا تستمر القصة على صورتها المعروفة من إعلان الملك عن حفله السنوي، وعزمه في هذه المرة على أن يختار من بين المدعوات عروساً لابنه، ويذهب الجميع للحفلة ما عدا سندريلا، التي تبكي قسوة زوجة أبيها، فتأتي القوى الطيبة

لتساعدها. في هذه القصة لم تساعد المرأة الساحرة سندريلا بأن جعلتها تمشي على سبيل المثال، لكن المساعدة جاءة على صورة توفير كرسي يضمن لسندريلا سهولة التحرك. وبدأت الرسالة التي قصدت المُعدّتان إبلاغها إلى المجتمع في الظهور. إن سندريلا على الرغم من توفير الكرسي المتحرك لها تتساءل عن كيفية التحرك بهذا الكرسي وجميع الطرقات غير ممهدة؛ فلم يحسب المهندسون حساب ذوي الاحتياجات الخاصة. وهكذا تذهب سندريلا بمساعدة القوى الطيبة إلى الحفل وتتعرف على الامير، ويعجب بسحر غنائها وجميل سلوكها. في أثناء رحلة العودة، تفقد سندريلا أحد قفازيها، فيجري البحث عن صاحبة القفاز، لكن البحث أصبح محصوراً في فئة ذوي الاحتياجات، ويعثر على صاحبة القفاز ويتم الزواج، لكن سندريلا تضع لزواجها شروطاً:

«أنا لا أستطيع أن أتزوجك أيها الأمير، فأنا
لا أمشي ولا أستطيع أن أخرج من البيت إلا
بمساعدة الساحرة» (ص٢٤).

هكذا يجري توعية أصحاب السلطة بالغبن الواقع على بعض فئات المجتمع ولتكون سندريلا صوتاً لهذه الفئة المحرومة. ويقوم صاحب النفوذ (الأمير) بتقديم العون لصاحبة الحاجة الخاصة (سندريلا)، حين يصدر توجيهاً بتعبيد الطرق، وتهيئة الأماكن الخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة، ليتحقق لهم الإدماج الحقيقي في الحياة الاجتماعية العامة بسبب زواج ابن الأمير بسندريلا.

إن فعل الزواج المشروط في نهاية القصة فيه نوع من الإشارة إلى الوعي بحالة المختلف عنا (أي الاحتياج الخاص)، وبأن عملية الإدماج لا تتحقق بالعطف عليه؛ بل بالشعور بحاجاته وتلمسها وتلبيتها باعتبار هذه الفئة جزءاً من طيف الألوان الموجود في المجتمع.

أما نايف المطوع في قصته To Bounce or not to Bounce (Al-Mutawa, 1996) فيعالج مفهوم الإدماج في الحياة الاجتماعية من زاوية أخرى وهي الوظيفة. لقد نوقش مفهوم الوظيفة عبر مسارين: الأول دور الشخص المختلف عنا من حيث

الشكل (صاحب إعاقة حركية) في الحياة العامة، لا سيما إذا كان المجتمع متجانساً لا يعرف أي نوع من أنواع الاختلاف الشكلي الظاهري. أما المسار الثاني في المناقشة فكان في السؤال التالي: ما الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها الشخص المختلف في مثل هذا المجتمع المتجانس ظاهرياً؟

تقع أحداث القصة الرمزية في مدينة الدوائر، التي يتخذ أصحابها شكل الدوائر، ويمارسون أنشطتهم اليومية من قفز وتدحرج، ويفتخرون بالشخص الذي يحقق أعلى مستويات القفز، وأسرع مستويات التدحرج. من بين سكان هذه المدينة، كان يعيش السيد الدائرة وزوجته اللذان ينتظران حدثاً سعيداً، وهو استقبال المولود الجديد. لقد خطط الوالدان مستقبل هذا القادم، وماذا سيصنعان معه، وما سيمارسانه معه من ألعاب القفز والتدحرج. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي العائلة، إذ أنجبت السيدة الدائرة طفلاً غير مكتمل النمو، جاء على شكل نصف دائرة، وتحطمت بذلك أحلام الزوجين وما وضعاه من خطط. ويكبر الطفل، ويجد نفسه في مجتمع يرفضه؛ لأنه مختلف عنه ولا يستطيع القيام بأبسط أمرين هما: القفز والتدحرج. لقد شعر الطفل بغربته عن أهل مدينته، وحاول الاندماج معهم لكن من غير جدوى، فجاء إلى أهله باكياً وشاكياً، وكانت الإجابة الحكيمة من والديه هو اكتشاف قدراته الداخلية التي تحقق له سعادته الخاصة، لأن السعادة لا تنحصر في القفز والتدحرج. وهكذا فكَّر الطفل النصف الدائري فيما يمكن القيام به من أمور، فبدأ رحلة التحولات، فكان هناك إصيصاً يحتضن الورد، لكن الرمل كان مؤذياً له، ففكر في أن يكون حوضاً للأسماك، لكن الأطفال يصبون المشروبات الغازية على الماء، وفكر في أن يكون قبعة تقي الناس حرارة الشمس لكنه لم يجد في ذلك جدوى. ورجع الطفل نصف الدائرة إلى عزلته بعد أن رفض الآخرون مدّ يد العون إليه. لكن الغوث جاءه من السماء، فقد نزل المطر واكتشفت الدوائر أنها لا تستطيع السباحة وأنها معرضة للغرق. هنا جاء دور نصف الدائرة ليتشكل في هيئة قارب ويبدأ في إنقاذ أهل المدينة. عرف الناس في المدينة الدور الحيوي الذي قام به نصف الدائرة، ووعوا حقيقة أن السعادة لا تنحصر في تمام التجانس

والقيام بالقفز والتدحرج. وهكذا كان في اختلاف نصف الدائرة بداية التعرف والتوعية لتقبل المختلف عنهم، وجرى توظيفه مراقباً لإنقاذ شواطئ المدينة، بعد أن أنقذهم من خطر التميز الاجتماعي، وجرى إدماجه في الحياة الاجتماعية.

وتطرح أميمة العيسى (د.ت) في قصتها «إنقاذ نسرين من العصابة» دور ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة الاجتماعية، لكن من زاوية أخرى. لقد تعرضت «إصرار» - بطلة القصة - لحادث مروري وهي في العاشرة من عمرها، وتسبب ذلك في إعاقتها البدنية وعجزها عن المشي. لكن «إصرار» كانت تصر على أن يكون لها دورها الفاعل بين زميلاتها في المدرسة، غير قابلة لنظرات العطف والإشفاق، فشكلت مع صديقاتها في المرحلة الثانوية فريقاً غايته المساعدة وتقديم العون إلى الآخرين. وتناقش القصة آفة المخدرات في مدارس التعليم العام، التي أصابت كثيراً من أبناء وبنات المجتمع. فكانت «نسرين» - الطالبة مع «إصرار» في المدرسة - تعاني من الصداع، وأخذت الحبة المخدرة التي كان لها أثرها السريع في زوال الصداع، لكنها لم تدر أنها تخطو أولى خطواتها نحو الإدمان. وبالفعل جرى ابتزاز نسرين - مالياً - عندما عاودها الصداع. ولاحظت «إصرار» وزميلاتها تسرّب نسرين الواضح من المدرسة؛ مما جعلهن يتخذن الخطوات المناسبة لإنقاذ زميلتهن، ولكشف العصابة التي تغذي المدرسة بمثل هذه السموم. ولم يخطر على بال الجميع في المدرسة أن وراء هذا النجاح كانت تقف - إصرار - تلك المقعدة على كرسي العجلات المتحرك.

إن القصص الثلاث - آنفة الذكر - ناقشت إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة العامة من زوايا متعددة أهمها:

- **الأول:** أن توضع هذه الفئة موضع الاعتبار عند بناء المرافق العامة المتنوعة في البلاد.
- **الثاني:** أن توفر الوظائف التي تناسب إمكانات هذه الفئة.
- **الثالث:** أن يتاح المجال أمام أبناء هذه الفئة لممارسة أدوارهم وتحقيق فاعليتهم واندماجهم في الحياة الاجتماعية، وإثبات قدرتهم على تقديم الكثير لخدمة رفاقهم ومواطنيهم.

ب – دار الحدائق وذوو الاحتياجات الخاصة: دار الحدائق هي من دور النشر المتخصصة في نشر ثقافة الطفل، وذلك بإعمال معايير علمية في التعامل مع الكتاب أو المجلة الصادرة للطفل. هذه المعايير نجدها واضحة في عدد الصفحات، وعدد الكلمات، وتشكيلها نحوياً، ومراعاة المرحلة العمرية التي يتوجه إليها العمل الإبداعي، واللوحات وحجمها وألوانها. كل ذلك يتم بإخراج فني عال جعل الدار تكتسب جمهوراً وحضوراً متميزاً في معارض الكتاب. والذي يهمنا في هذا السياق هو القصص التي نشرتها الدار، والتي لها علاقة بموضوع هذه الدراسة. فقد نشرت الدار أربع قصص موجهة للأعمار من سن السابعة فأكثر، وهي قصص تتناول مفهوم الإدماج، كما تعرضنا له في حديثنا السابق، لكن من زوايا جديدة لم تتعرض لها القصص السابقة.

ففي قصة «بلال وعامر» (محيدلي، ٢٠٠٢)، نتعرف على طفلين في حي واحد. هذا القرب على المستوى المكاني ولَّد عندهما نوعاً من الاقتراب على المستوى الإنساني، وذلك من خلال هوايتهما المشتركة: كرة السلة. وهما بعدما ينتهيان من لعبتهما المشتركة، يبدآن بالتسابق والمرح ليعود كل منهما في فترة الغداء إلى منزله، ثم يكون اللقاء في منزل أحدهما لمشاهدة لعبتهما على شاشة التلفزيون. والكاتبة في هذه القصة تنحو منحى إنسانياً لعدم ذكرها لعاهة الطفل عامر، وتجعل القارئ يكتشف ذلك من خلال الرسوم التي أعدتها الفنانة لجينة الأصيل، حتى إننا في أثناء القراءة لا نعرف من يشتكي فعل الحركة: أهو بلال أم عامر؟ في الصفحة قبيل الأخيرة نكتشف أن «عامر» هو صاحب الكرسي ذي العجلات المتحركة؛ وذلك عندما لاحظ صديقه تأخره في الدخول إلى منزله فأجابه: «ألا تراني أمسح حذائي، أقصد دواليب عربتي؟» (ص١٢).

إن قصة «بلال وعامر» هي دعوة للأطفال العاديين كي يلعبوا مع أقرانهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، والنظر إليهم على أنهم أطفال بإمكانهم مشاركتنا هواياتنا، لأن هواياتنا هي هواياتهم أيضاً.

وتنحو قصة «صديقي المفضل» (مزهر، ٢٠٠٢) المنحى نفسه في قصة «بلال وعامر»، إلا أن الحاسة المفقودة هنا هي البصر؛ فأحمد طفل كفيف لكنه

يتعاون مع صديقته في القيام بأعمال يكمل فيها بعضهما بعضاً. فهو دائماً ينقل العالم الداخلي الذي يشعر به، وهو عالم بالنسبة إلى الأطفال لا يستطيعون البوح به؛ لأنهم ينحون نحو الوصف الخارجي. إن أحمد «لا يرى الشمس لكنه يشعر بأشعتها، وهو ينقل لنا هذه الأحاسيس، وكيف يتحدث عن قطته، أو عن قفزه على الحبل أو القراءة بطريقة برايل. تكمن سعادة «أحمد» في أنه وجد في صديقته الشخص الذي يستمع إليه، ويشاركه اللعب، ويقدم له العون عند الحاجة. كل ذلك يجعل هذه الصديقة جديرة بلقب «صديقي المفضل»، وبذلك تتحقق السعادة المشتركة.

وتسير الدار في تعريف الأطفال بنماذج من ذوي الاحتياجات؛ فقصة «عدنان لا يحب قصتي» (عبدالصاحب، ٢٠٠٣) تقدم نموذج الطفل الذي يفتقد حاسة السمع، وهو يستعين بسماعة خاصة ليتواصل في حواره مع الآخرين. فالطفلة «نور» تحاول أن تجذب أطفال الجيران بقراءة قصة لهم، وهي تلاحظ أن بعض الأطفال مسرورون ومنسجمون بقراءتها للقصة. لكنها تلاحظ أيضاً أن «عدنان» منزعج، فتتساءل: «لعل القصة لم تعجبه!» (ص١٣). وهكذا استمرت الطفلة «نور» في قراءة قصة أخرى وأخرى، لكنها لم تفلح في جذب الاهتمام على الرغم من معرفتها بأن القصة فن محبب عند الأطفال. أسرعت «نور» إلى أمها وأم عدنان لتخبرهما بما يحدث، وهنا أدركت «أم عدنان» المشكلة لتحضر سماعة «عدنان» التي يستعين بها على الاستماع، وهكذا بدأت «نور» قراءة قصة أخرى، وكاد «عدنان» يطير فرحاً لجمالها.

وتعرفنا قصة «عمتي كبيرة» (شرارة، ٢٠٠٣) بنوع جديد ذي خصوصية من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهو مجاوزة الجسم البشري الحجم المألوف. فكل شيء في هذه العمة كبير: جسمها، وباعها، وسريرها، وكرسيها، وفستانها، وحذاؤها. لكن أجمل ما في هذه العمة هو «قلبها الكبير الكبير» الذي يحب الأطفال.

إن قصص دار الحدائق تحاول أن تدمج الأطفال في الحياة العامة، وذلك بتعريفهم النماذج التي قد يصادفونها في حياتهم اليومية. المهم هو كيف نتعامل

مع هذه النماذج، وكيف ندمج معهم ليكونوا منا ونكون بهم. فمشاركة الهوايات، واللعب كما في قصة «بلال وعامر» و«صديقي المفضل»، أو التعرف على أسباب المشكلة كما في قصة «عدنان لا يحب قصتي»، أو النظر إلى المشكلة من زاوية إيجابية وأرحب كما في قصة «عمتي كبيرة»، كل ذلك يجعل أدب الأطفال ذا إسهام فعال في التعريف بهذه النماذج، والنظر إليها بصورة أوفر إنسانية ورحابة.

ج - أدب الأطفال ومفهوم الإدماج في الحياة الثقافية: دراسة تطبيقية:
المقصود بالإدماج في الحياة الثقافية هو ذلك القدر المشترك من المطبوعات الثقافية التي يقرؤها أفراد المجتمع جميعاً، لا فرق في ذلك بين ذوي الاحتياجات الخاصة أو غيرهم. مثل هذا الإدماج قد يشكل صعوبة عند القائمين على الشؤون الثقافية، سواء الصعوبة في الاختيار الأمثل للموضوع الذي يراد تعميمه، أو في الصعوبة المالية لإنتاج مثل هذا النوع من القدر المشترك. فقد عُرف من الإنتاج الذي يطبع لفئة المكفوفين - على سبيل المثال - عظم التكلفة المالية، على الرغم من بعض التجارب المتميزة كتلك التي قام بها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت مع جمعية المكفوفين الكويتيين. لكن فئة المكفوفين، بالقياس إلى الفئات الأخرى من ذوي الاحتياجات الخاصة، تعد من الفئات ذات الحظوة الثقافية، ويبقى التحدي في عملية الإدماج الثقافي للفئات الأخرى كأطفال التوحد، وأطفال الإشارة ومستخدمي برنامج الماكتون اللغوي وغيرهم.

الدراسة الحالية وأهميتها

تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها تطرح موضوع الإدماج الثقافي بين أطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال العاديين على أكثر من مستوى. فهي لا تكتفي بالكتابة عن ذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال كما لاحظنا في القصص السابقة، بل تطرح مفهوماً جديداً لمصطلح الإدماج. إن الإدماج - كما طرحه المختصون في التربية الخاصة - يرتبط بإدماج ذوي الاحتياجات الخاصة مع الأطفال العاديين في المدارس العامة، وهو أمر له سلبياته وإيجابياته

الأخلاقية، كما فصَّل ذلك عبدالله في دراسته عن ذوي الاحتياجات بشكل عام (عبدالله، ٢٠٠٢)، أو دراسة الرشيدي والمعيلي عن دمج المكفوفين في الفصول العادية بشكل خاص (الرشيدي والمعيلي، ٢٠٠٣).

أما الدراسة الحالية فترى في مصطلح ذوي الاحتياجات الخاصة شمولية أوسع تتجاوز أصحاب الإعاقات الحركية أو الذهنية لتشمل كل إنسان يعتمد في حياته على مساعدة ما في إنجاز شؤون حياته اليومية. هذه المساعدة تختلف من فرد إلى آخر حسب درجة الحاجة. فمريض السكري – على سبيل التمثيل – سليم من الناحية البدنية والعقلية، لكنه يعتمد على الدواء الخاص بهذا المرض الذي لولاه لأصبحت حياته مهددة بالخطر، ومع ذلك لا ينعت مرضى السكر بأنهم من ذوي الاحتياجات الخاصة.

لذلك، يرى الباحث أن مصطلح الإدماج هو أوسع بكثير مما تعارف عليه المختصون في التربية؛ والدراسة إذ تتوسع بهذا المصطلح ليشمل كل ذي حاجة مهما صغرت إنما تحاول عبر هذه النظرة الأوسع تذويب الفروق بين الإنسان، فيصبح من يستعين بالنظارة لفعل القراءة لا يختلف عن من هو مصاب بالتوحد أو متلازمة داون، بل يكمن الاختلاف في درجة الحاجة وليس في نوعها. إن درجة تكيف كل طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة تختلف على حسب قدر حاجته ودرجة حالته في التوافق مع الآخرين العاديين.

من هنا، فإن أهمية الدراسة الحالية تكمن في تقديم شكل كتابي بحيث يكون تمثيلاً لمفهوم الإدماج كما عبرت عنه الدراسة؛ ذلك الإدماج الذي يجمع الطفل العادي مع أطفال من ذوي الحاجات الخاصة ممن يعتمد على الإشارة أو الرموز أو المكفوفين على صفحة واحدة، بحيث يقرأ كل ذي لغة لغته الخاصة، ليتحقق بينهم الإدماج الثقافي.

أداة البحث

للإجابة عن السؤالين السابقين، استخدم الباحث تقنيتين: الأولى تكون بمثابة ورشة فنية مع إحدى طالباته، وفيها يتم توضيح الهدف من البحث،

وقراءة القصص الخاصة بهذا الباب، والتدريب على فن الكتابة للطفل، والانخراط في دورات تدريبية لتعلم لغة الإشارة أو الرموز، ثم إنتاج قصة أو أكثر لتحقيق هدف الدراسة.

التقنية الثانية تكمن في تدريب طالبة أخرى على تقنية البحث العلمي، لا سيما الطريقة النوعية في جمع المعلومات، وكيفية إجراء المقابلات مع المشرفين والمختصين، ممن لهم خبرة في مجال ذوي الاحتياجات الخاصة، وإنتاج قصة تحت إشراف هؤلاء الخبراء تحقق الهدف من الدراسة.

أما دور الباحث، فيتمثل في كونه شريكاً فاعلاً في التدريب، وحضور المقابلات، وتصحيح النصوص الإبداعية، واقتراح الأفكار المناسبة للخروج بنص يجمع بين أكثر من قناة اتصال تحقق مفهوم الإدماج بالمعنى الثقافي.

ويرى الباحث أن الجمع بين هاتين التقنيتين على سبيل التكامل أهمية خاصة في هذا المقام؛ فباجتماعهما تتاح للطلاب فرصة الغوص في أعماق البحث العلمي، ومكابدة صعوباته ومشكلاته، كما أن ممارسة الطلاب لهذه التجربة بإعمال هاتين التقنيتين تفتح لهم أبواب مشرعة للمشاركة الجادة في التماس الحلول لما يواجهونه من مشكلات في مجال التربية، وهو المجال الذي يمثل بالنسبة لهم مستقبلاً واعداً، ويتطلب منهم اكتساب القدرة على الإبداع في تشخيص المشكلات وإيجاد الحلول. وذلكم هو ما يطلق عليه أسلوب البحث المطور لحل المشكلات Research & Development (Gay, 1992).

إجراءات جمع البيانات وتبويبها

وقع اختيار الباحث على طالبتين من بين طالباته اللاتي يدرسن معه مقرر أدب الأطفال. وكان الاختيار لوثاقة معرفته لقدرتهما على ممارسة فن الكتابة، وما تتمتعان به من إصرار على ملاحقة السؤال وصولاً إلى الإجابة. وقد استخدم الباحث مع كل منهما تقنية خاصة تنسجم مع قدراتهما وتطلعاتهما البحثية.

أولاً – تقنية الورشة الفنية للكتابة للأطفال: تتميز الطالبة كوثر بمهارة الكتابة للطفل، لا سيما للمرحلة العمرية المبكرة، ومن ثم جرى توظيف هذه المهارة لديها بما يتناسب وأهداف الدراسة، التي تطمح إلى إيجاد الشكل الكتابي المناسب لإدماج الأطفال العاديين مع أقرانهم من ذوي الاحتياجات الخاصة. وقد قام الباحث بتعريف الطالبة كوثر ببعض المراكز المختصة في دولة الكويت، لا سيما مركز ماكتون الكويت والخليج الذي تشرف عليه السيدة الفاضلة سبيكة سعد الجاسر، وتم الاتصال بهذا المركز واللقاء برئيسته ومشرفيه الذين رحبوا بالفكرة، وساعدوا كوثر لتعريفها بالرموز والإشارات الخاصة ببرنامج ماكتون اللغوي. انخرطت كوثر في دورة تدريبية لمدة أسبوع للتعرف على خصائص هذا البرنامج ومرتاديه من أصحاب الإعاقات الذهنية، وبدأت رحلة الكتابة في قصتين متميزتين: الأولى حملت عنوان «كوثر»، وفيها وظفت الرموز الخاصة في الكتاب الذي أعده المركز (الجاسر، ١٩٩٧ أ و ب) على شكل قصة لطيفة. أما القصة الثانية فكانت بعنوان «أين أبي؟» وفيها تحكي الطالبة كوثر قصة طفل طال غياب والده عنه فبدأ الابن في طرح الأسئلة عن مصير والده.

وفيما يلي تفصيل لكل من القصتين:

القصة الأولى بعنوان «كوثر»، وتحكي قصة فتاة تبلغ من العمر خمس سنين، وتحب اللعب، وتعاون أمها في المنزل، ثم تذهب لتنام بعد أن تأكل الفطيرة اللذيذة التي أعدتها لها أمها. هذه القصة – على الرغم من بساطتها والتي لا تتجاوز كلماتها الأربعين – تنطوي على مفارقة تكمن في أنها موجهة للأطفال العاديين من مرحلة الرياض (٣–٥ سنوات)، كما أنها موجهة في الوقت نفسه إلى الأطفال المنتسبين إلى برنامج الماكتون من أصحاب الإعاقة الذهنية، حسب المرحلة السابعة من قاموس هذا البرنامج، وهم أطفال قد تصل اعمارهم إلى سن الثالثة عشرة. وتكمن المفارقة في أن الطفل في كلا العمرين يعتمد على من يقرا له القصة. فعندما يقوم الوالدان أو من هم أكبر سناً بقراءة القصة

للطفل في مرحلة الرياض ينشأ لديه نوع من الفضول لتعلم لغة الرمز، وهي لغة مع شيء بسيط من التدريب يمكن للطفل أن يألفها. هذا التآلف الضمني يدخل الطفل العادي إلى عالم الأطفال الآخرين الذين يختلفون عنهم لمعرفة نوع هذه الرموز وأسبابها. وهذه المعرفة تولد نوعاً من التقارب – على المستوى الثقافي – الذي يمكن أن يصل بهم في المستقبل إلى تفهم هذه الحالات الإنسانية.

لقد أخذ الباحث قصة «كوثر» إلى صف في رياض الأطفال، وقُرئت القصة عليهم من غير عرض الرموز. وبعد الانتهاء من القراءة وضعت رموز بسيطة تعبر عن كلمات القصة، واتضح أن كثيراً من الرموز كانت قريبة لفهم أطفال الرياض، وأنها لا تحتاج إلى استدراجهم لمعرفتها مثل الرموز الخاصة بالكلمات التالية: كتابة، المنزل، الحديقة، صديقتها، وردة، تفاح، أكلت، فرشت أسنانها. وهناك رموز أخرى أمكن لأطفال الرياض معرفتها بقليل من الإيضاح. بل إن الأطفال قاموا بعد الانتهاء من القصة بأداء دور تمثيلي يشرحون به الأشياء على طريقة الرموز الموظفة بإشارة اليد ومن غير استخدام الكلام.

أما بالنسبة لأطفال الإعاقة اللغوية أو السمعية ممن يلجأون إلى الإشارة أو الرموز في تواصلهم اليومي، فهم أمام حالة فريدة من القصص. فالقصة مكتوبة باللغة العربية وفوق كل كلمة توجد الإشارة الخاصة بها، وهم يستطيعون قراءة القصة من خلال الرموز الموضوعة، لكنهم أيضاً مثل الأطفال العاديين، تنشأ لديهم حالة من الفضول لفك رموز اللغة العادية التي يجدون صعوبة في التعرف عليها. هكذا تتم المبادلة بين الشكلين الكتابيين: الأبجدية والرموز؛ وهي مبادلة تآلف بين المختلف وتحقق التضافر بين الجهود المبذولة في الكتابة للطفل، بحيث يصبح الإدماج الثقافي حقيقة واقعة بين الأطفال العاديين وغيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة.

أما قصة «أين أبي؟»، فقد كتبتها الطالبة كوثر بلغة الإشارة على عكس القصة الأولى التي كتبت بلغة الرموز الخاصة ببرنامج ماكتون اللغوي. وهي كتابة تدربت عليها الطالبة ضمن الدورة التي أسلفنا الإشارة إليها. تدور القصة حول

الطفل «علي» الذي يسأل أمه وجدته عن غياب أبيه الطويل، فتجيبه الجدة بأن والده عند خالقه، وببراءة الأطفال يسأل الطفل ما سبب هذا الذهاب، لتجيبه الأم بأن الأب مات من أجل أن نعيش نحن بسعادة. إن قيمة قصة «أين أبي؟» بالإضافة إلى كونها كتبت باللغة العادية والإشارة هي احتواؤها على الرسوم المكملة للقصة. فالقصة لم تشر إلى أن الأب استشهد بسبب الغزو الصدامي، بقدر ما أشارت إلى أنه مات من أجل أن نعيش نحن. لكن الصور الجميلة بينت لنا ذلك الجانب الخفي ليستشف القارئ من هذه القصة أسباب ما حدث للأب.

إن الملاحظة الأولى التي يخرج منها القارئ، هي أن لغة الإشارة كعلامات مرسومة يصعب استشفاف مرموزها. ومن المؤكد أن هذه الإشارات لن تكون صعبة على عارفيها من أطفال الإشارة، لكنها ستشكل صعوبة لدى الأطفال العاديين، وهي صعوبة ما وجدناها عند الأطفال العاديين في معرفة لغة الرموز. فعند عرض هذه القصة على صف من أطفال الرياض، كانت المفاجأة أنهم لم يعرفوا مدلول أي إشارة من هذه الإشارات، ويرجع سبب ذلك فيما يرى الباحث أن لغة الإشارة تعتمد على فعل الحركة وإيماءة الوجه في التعبير عن مرموزها، وهذا ما لا تستطيع الأوراق أن تبين عنه. وليس من قبيل المصادفة أن القرص المدمج الذي أنتجه مركز ماكتون الكويت والخليج بالتعاون مع معهد الأبحاث العلمية قد قام بعرض هذه الإشارات عن طريق الفيديو مصحوبة بأداء تمثيلي موضح لها، ولم يكتف المركز بعرضها مرسومة كما فعل في حالة الرموز. إن قيمة قصة «كوثر» تكمن في أنها حاولت بذر البذور الأولى لمفهوم الإدماج بين الأطفال العاديين وأطفال الإعاقة الذهنية، وهي بذور سيتم جني ثمارها مع الطالبة الثانية المشاركة في المشروع.

ثانياً - تقنية البحث العلمي ومفهوم البحث المطور لحل المشكلات Research & Development: خلافاً لزميلتها كوثر، تتمتع الطالبة «نورة» بميول ذات طابع بحثي واستقصائي، وهي ميول ذات أهمية مكملة للدور الذي قامت به زميلتها. بدأ لقائي مع «نورة» بالتعريف بالمشروع وأهميته، وبالدور الذي قامت به

«كوثر» والنماذج التي أنتجتها تحت إشراف الباحث مع الجمعيات المتخصصة. وتم توضيح الصورة المثلى لمفهوم الإدماج للطالبة «نورة»، ووضع تصور ذهني عن الشكل الكتابي المقترح. هنا بدأت نورة رحلة الاستكشاف مع برنامج الماكتون اللغوي من خلال زيارتها للمركز ولقاء السيدة سبيكة الجاسر والأستاذة راوية محمد والحديث معهما عن فكرة المشروع. هناك لقيت الطالبة الدعم الكامل، وتم البحث عن النص المناسب لتفعيل التجربة. حاول الباحث تشجيع الطالبة نورة على فعل الكتابة، لكنها أخفقت في إنتاج النص المناسب الذي لا يخرج عن القاموس اللغوي لبرنامج الماكتون لأصحاب الإعاقات الذهنية، وهو القاموس الذي انطلقت منه هذه الدراسة في عملية التجريب، باعتباره قاموساً مجرباً ومعبراً عنه بلغة الرموز والإشارة. عرض الباحث عليها تجربة سابقة له مع طفلة مكفوفة تستطيع أن تميز ألوان التفاح المختلفة (الأحمر، الأخضر، الأصفر) بحاسة الشم، وهي تجربة كان يتساءل فيها الباحث عن مفهوم اللون عند المكفوفين؛ محاولاً معرفة تصورهم الذهني للألوان. كان صعباً على الطفلة «فاطمة» أن تعبر عن هذا المفهوم إلا من خلال التجربة التي قدمتها لنا عندما قالت لي إنها تستطيع أن تميز ألوان التفاح من رائحتها. من هذه التجربة، أنتج الباحث نصاً من تسعة أسطر يحكي فيها قصة الطفلة المكفوفة «فاطمة» بأسلوب لا تخرج كلماته عن القاموس الذي أعده مركز ماكتون الكويت والخليج (١٩٩٧). إن قيمة هذا النص الذي أطلقنا عليه (رائحة الألوان) يكمن في أنه يتكلم عن طفلة من ذوي الاحتياجات الخاصة، وسوف يجري إنتاجه بأكثر من لغة من قنوات الاتصال لدى ذوي الاحتياجات الخاصة مع اللغة العربية الفصيحة، فيتحقق الإدماج الثقافي في هذه الحالة بالجمع بين الشكل الكتابي ذي القنوات المتعددة والفكرة المعبرة عن إحدى الحالات المعنية بالدرس.

استحسنت الطالبة «نورة» القصة، وبدأت مسيرتها بالتعاون مع الباحث في كيفية ترتيب القصة وفق المخطط الموضوع لها. بدأنا معاً في وضع الرموز الخاصة ببرنامج ماكتون على القصة، وتم اطلاع المركز عليها فقام ببعض التعديلات الطفيفة حتى تكون في أوضح صورة. بعدها انتقلنا إلى القناة الثانية،

وهي لغة الإشارة، وهنا اكتشف الباحث مع الطالبة «نورة» أن لغة الإشارة الموجودة في الجزء الثاني من الكتاب الذي أصدره مركز ماكتون الكويت والخليج يختلف عن لغة الإشارة المعروفة لدى مدرسة الأمل في معاهد التربية الخاصة بالكويت، ذلك أن لغة الإشارة أنواع: فلأصحاب الإعاقات العقلية لغة إشارية خاصة بهم، أما من فقد السمع والنطق فليس بصاحب إعاقة عقلية، ولديه القدرة على قراءة اللغة العربية المكتوبة، فأي الإشارتين نضع؟

هذا السؤال ناقشه الباحث مع نفسه طويلاً، وخرج بخلاصة مفادها أن الهدف من الدراسة هو تحقيق مفهوم الإدماج بالمعنى الثقافي، وألا يكون هناك ميزة من أحد على أحد، ومن ثم كلما تنوعت قنوات الاتصال كان ذلك تحقيقاً للهدف من الدراسة. لذا، أخذ الباحث بالرأي الثاني الذي يعتمد لغة الإشارة الخاصة بالأطفال الصم والبكم ممن ليست لديهم إعاقة ذهنية، واكتفى بلغة الرموز من برنامج الماكتون حتى يتحقق التنوع المطلوب.

وذهبت «نورة» بالقصة إلى مدرسة الأمل التابعة لمدارس التربية الخاصة بدولة الكويت، والتقت بعض المشرفين. هناك وجدت الطالبة بعض الصعوبة في التعاون مع العاملين في المدرسة، وذلك لانشغالاتهم المتعددة. هنا، تدخل الباحث باتصالاته مع مجموعة من الأصدقاء العاملين بالمدرسة. وجرى حوار بين الطالبة والأستاذ بدر الدوخي خبير لغة الإشارة في مدرسة الأمل. وأوضح الخبير أن هناك نوعين من لغة الإشارة الخاصة بالصم والبكم، أولهما عام ينتظم معظم الدول العربية، والآخر خاص يعبر عن الخصوصية المحلية الثقافية لكل بلد. وهنا برز سؤال بحثي يتطلب جواباً حاسماً: بأي النظامين يأخذ الباحث في عرض الشكل الكتابي المقترح للقصة لتحقيق مفهوم الإدماج؟

كانت إجابة هذا السؤال في البداية صعبة، لكن بعد النظر في رموز الماكتون، وجد الباحث أن هذه الرموز في أصلها بريطانية، وجرى تطويرها بما يناسب الثقافة العربية الإسلامية في الكويت والخليج، فاكتسبت هذه الرموز خصوصية كويتية إن صح التعبير. من هنا، فمن الأولى أن تكون الإشارة المعنية

التي سوف ترسم في القصة المؤلفة ذات صيغة محلية أيضاً، فتم الاتفاق مع خبير الإشارة الأستاذ بدر الدوخي على لغة الإشارة المحلية. هنا جاءت الصعوبة الأخرى التي واجهت الباحث والطالبة «نورة»، وهي أن لغة الإشارة لغة تعتمد على التفاعل الحي الذي يستخدم حركات اليد أو تعبيرات الوجه! فكيف يمكن رسم ذلك؟ هنا بدأنا الخطوة الأخرى وهي البحث عن الشخص الذي يجمع بين الإلمام بلغة الإشارة والقدرة على رسمها، واستعنا بالأستاذ بدر الدوخي لاقتراح من يراه مناسباً لتحقيق هذا الهدف، ووقع الاختيار على الأستاذ علي إبراهيم أستاذ التربية الفنية في إدارة التربية الخاصة بدولة الكويت. واتصلنا بالأستاذ علي الذي كان مشغولاً جداً، وأمهل حتى سنحت ظروفه من أن يعطي العمل ما يستحق من وقت.

والتقى الباحث والأستاذ علي وتم شرح الحالة له حتى يضع التصور المطلوب للرسوم. بدأ الأستاذ علي بعمل تجارب أولية، وكان يعرضها في البداية على الأستاذ بدر الدوخي للتأكد من سلامة الإشارة ومطابقتها للنص المكتوب. بعدها تم عرض هذه الإشارات على الباحث فوجدها ملبية لما يتطلبه البحث. أخذ الباحث هذه الرسوم وأعطاها للطالبة «نورة» لتقوم بعملية اللصق بحيث تتم المؤالفة بين الكلمة والرمز والإشارة والرسم في كل مكونات النص لتكوين صور ذهنية لدى الأطفال. وعندما أتمت ذلك، أخذنا القصة للمرة الأخيرة إلى مركز الماكتون لمراجعة الرموز الخاصة بهم، وكم كان سرورهم عظيماً عندما رأوا الفكرة تدخل إلى حيز التطبيق بالفعل. بعدها أخذنا النص إلى الأستاذين بدر الدوخي وعلي إبراهيم، فأبديا موافقتهما على السياق الإشاري الموضوع في صورته الأخيرة.

هنا بقيت لدى الباحث الخطوة الأخيرة لتحقيق الغاية من الدراسة وهي إضافة لغة برايل الخاصة بالمكفوفين إلى القصة. لكن الصعوبة الكبرى تكمن في أن لغة برايل تطبع على أوراق خاصة تختلف عما درج على استعماله، كما أن لها مطبعتها الخاصة التي لا توجد إلا في جمعية المكفوفين. هنا التقى

الباحث بالأستاذ غانم عودة المشرف على طباعة النصوص وتدقيقها في الجمعية الكويتية للمكفوفين، وعرضت عليه الفكرة التماساً لمخرج من هذا الموقف، غير أنه – مما يؤسف له – أن نكتشف استحالة استكمال منظومة المؤالفة بإضافة رموز برايل على الطريقة نفسها التي اعتمدناها فيما سبق، وذلك لخصوصية نوع الورق المطلوب لطباعة رموز برايل، ولما يسببه ذلك من تشويه لجماليات الإخراج نتيجة بروز اللصق في رموز برايل. ولتلافي هذه الصعوبة لجأنا إلى حل يحقق الهدف الذي انطلقت منه الدراسة وهو أن يطبع النص كاملاً بلغة برايل في صفحة واحدة، ويتم إلحاقها بالمنظومة الكتابية. وبذلك يتحقق الهدف المرجو من الدراسة وهو إدماج المكفوفين مع غيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة في منظومة كتابية متآلفة.

خاتمة البحث

من خلال التفصيل السابق في الدراسة، ومناقشة ما تمخضت عنه خطواتها من نتائج. ينبه الباحث إلى عدد من الرموز ذات الأهمية البالغة في مراجعة مفهوم الإدماج وطرق التعامل معه في مجال أدب الأطفال. ومن أهمها ما يلي:

أولاً: الدراسات الخاصة بمفهوم الإدماج الدراسي، وجدت صعوبة في تحقيق هذا الأمر لأسباب يتعلق بعضها بدرجات الإعاقة ونوعها، والعوائق التي ترتبط بالخدمات الطبية المتخصصة، والمنهج ومرونته، والمعلم وإعداده، والوسائل التعليمية (عبدالغفور، ١٩٩٩). مثل هذه الصعوبات جعلت الباحث يعدل عن مقاربة المشكلة من مفهوم الإدماج الدراسي إلى معالجتها من منظور الإدماج الثقافي.

ثانياً: عالج أدب الطفل العربي مفهوم الإدماج في الحياة العامة وفي مجالات التوظيف، والصداقات والعلاقات الإنسانية، لكنه لم يوفق في إيجاد نص يوحد بين ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال العاديين على المستويات المختلفة ومن بينها مستوى القراءة.

ثالثاً: كان للحقيقتين السابقتين أثرهما في حمل الباحث على السير بالإجراءات التي سبق تفصيلها في البحث وذلك لتحقيق هدف الدراسة الذي يطمح إلى إيجاد نوع خاص من مفهوم الإدماج يجمع بين الخصوصية لكل ذي إعاقة أو طفل عادي، ويحقق الإدماج الثقافي في صورته الكتابية، والرمزية والإشارية.

ومن أجل تحقيق هذا الإدماج يؤكد الباحث أهمية توفير المختصين والرسامين والمبدعين من الخبراء في مجال ذوي الاحتياجات الخاصة المتنوعة بحيث تتضافر جهودهم في مركز يقوم على التنسيق بينهما لتحقيق مفهوم الإدماج الثقافي. ولعل من أهم نتائج هذه التجربة ما لمسناه من جدوى إشراك العاملين في مجال التعليم العام (ممثلتين في طالبتين من كلية التربية) ليحقق هذه الغاية، وذلك لتوعيتهم بخصوصية كل إعاقة وحتى يكون هذا الإدماج الثقافي بذرة أولى لتحقيق الإدماج العام على المستوى الدراسي.

ويود الباحث أخيراً أن ينبه إلى اعتماد هذه الدراسة على أسلوب البحث المطور لحل المشكلات Research & Development، وهو نمط بحثي ذو طبيعة خاصة يقوم الباحث فيه بتعيين الهدف، ومتابعة خطوات البحث لتسجيل ما يعترض مساره من عقبات أو مشكلات، وما ينشأ خلال هذا المسار من اقتراحات أو حلول لتجاوزها، بحيث يتم ذلك في سيرورة متزامنة تقضي في نهاية المطاف إلى تحقيق الأهداف المرسومة للبحث. ومن الطبيعي في مثل هذا النمط البحثي أن تتضافر المشكلات والبيانات والكشف عن العقبات وتحليل النتائج في منظومة متزامنة تخالف بطبيعتها ما عليه العمل في الأنماط الأخرى من البحوث.

Proposed vision for cultural mainstreaming of individuals with special needs, as projected in writing children stories: A future outlook

Dr. Ali A. Al-Gaafar
Dept curricula & Teaching Methods
College of Education. Kuwait University

Abstract

Researchers hold different opinions about the effectiveness of integrating children with special needs with the normal ones, particularly during the academic classes. This remark stimulated the researcher and made considered by researchers in the field of the special education studies. It consists of the children's Arabic Literature concept designated for those having special needs in general, and the extent of its contribution to achieving the concept of "cultural integration" of the normal children and others in particular.

The present study proposes a written form, in such a manner to represent the concept of "cultural integration". This form puts the normal student on common grounds with those having special needs who depend on signals, symbols, or Braille language, so that each one uses his own language to realize the "cultural integration" among them.

Finally, the researcher points out that this study depends on Research and Development approach. This method has a special nature in which the researcher determines the objectives, follows the research steps to register the obstacles, and problems that he encounters. This is carried out simultanously in such a way as to lead to the achievement of the objectives set for the research. It is normal in such research pattern that the problems, data, problems disclosure, and resutls analysis fall within a synchronous system, whose nature is different from that of other research patterns.

المراجع

أولاً - المراجع العربية:

١ - الجاسر، سبيكة سعد (١٩٩٧ أ). **إشارات ماكتون**. الكويت: مركز ماكتون الكويت والخليج، الجمعية الكويتية لرعاية المعاقين.

٢ - الجاسر، سبيكة سعد (١٩٩٧ ب). **رموز ماكتون**. الكويت: مركز ماكتون الكويت والخليج، الجمعية الكويتية لرعاية المعاقين.

٣ - الخطيب، جمال؛ والحديدي، منى (١٩٩٧). **المدخل إلى التربية الخاصة**. الكويت: مكتبة الفلاح.

٤ - الرشيدي، غازي؛ والمعيلي، بدور إبراهيم (٢٠٠٣). دمج المكفوفين في المدارس الثانوية العادية بدولة الكويت: دراسة استطلاعية لآراء بعض حالات المكفوفين في الدمج بالمدارس الثانوية العادية. **المجلة التربوية**، ١٧ (٦٦)، ٤٣-١٠٢.

٥ - زيتون، كمال عبدالحميد (٢٠٠٣). **التدريس لذوي الاحتياجات الخاصة**. القاهرة: عالم الكتب.

٦ - شرارة، دينا (٢٠٠٣). **عمتي الكبيرة**، رسوم حسان زهر الدين. بيروت: دار الحدائق.

٧ - عبدالصاحب، لمياء (٢٠٠٣). **عدنان لا يحب قصتي**، رسوم لمياء عبدالصاحب. بيروت: دار الحدائق.

٨ - عبدالله، أحمد (١٩٩٨). دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مع أقرانهم العاديين: بعض المفاهيم والاعتبارات وغيض من حكم الدراسات. ورقة عمل مقدمة إلى ندوة تجارب دمج الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في دول مجلس التعاون الخليجي (التطلعات والتحديات). البحرين، ٢-٤ مارس ١٩٩٨، ٨١-١٠٦.

٩ - عبدالله، أحمد (٢٠٠٢). تربية ذوي الاحتياجات الخاصة في دولة الكويت (الثورة الهادئة: مرجعية مثالية أم طموح محدود). الكويت: وزارة التربية. أوراق المؤتمر الوطني لتطوير التعليم العام في دولة الكويت، ٢١-٤٢ أبريل، ٢٠٠٢.

١٠ - عبدالغفور، محمد (١٩٩٩). دراسة استطلاعية لاتجاهات وآراء المدرسين والإداريين في التعليم العام نحو إدماج الأطفال غير العاديين في المدارس الابتدائية العادية. **مجلة مركز البحوث التربوية**، ١٥ (٨)، ١٦١-١٩٣.

١١ - العيسى، أميمة عبدالعزيز (د.ت). **إنقاذ نسرين من العصابة**. الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، الصندوق الوقفي لرعاية المعاقين والفئات الخاصة.

١٢ - محيدلي، نبيهة (٢٠٠١). **بلال وعامر**، رسوم لجينة الأصيل. بيروت: دار الحدائق.

١٣ - مزهر، عبير (٢٠٠٢). **صديقي المفضل**، رسوم أسامة مزهر. بيروت: دار الحدائق.

١٤ - ماسو لوشيان؛ ونجاة صبح الزق (١٩٩٧). **سندريلا**،. بيروت، لبنان: جمعية غوث الأطفال البريطانية.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

15 - Al-Mutawa, N. (1996). **To Bounce or not to Bounce.** Kuwait.

16 - Gay, L. R. (1992). **Educational research: Competencies for analysis and application.** New York: Macmillan Publishing Company.

17 - Huck, C. S.; Hepler, S. & Hickman, J. (1993). **Children's literature in the elementary school. (5th ed).** New York: Harcourt Brace Jovanovich College Publishers.